لاهوتُ المَسيح

تحليلُ قول المسيح:قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن

Divinity of Christ

Analysis of Christ's Words:
"Before Abraham was, I'm"

بقلم: مراد سلامة، والاخت سوسن من الأردن

Authors: Mourad Salama & Sawsan from Jordan

Published : 26/7/2007

Coptic Apologetics

www.coptic-apologetics.com

(يوحنا٨ :٥٨) "قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ»."

شرح هذا العدد مع تفنيد الإعتراضات عليه:

كبداية،لا يمكن أن تحدث مقارنة بين ما هو غير متجانس بمعنى: لا يمكن أن تقارن بين سيارة نقل و سيارة ركاب و تقول أيهما أحسن،لأن لكل منهما إستخدام و فائدة تختلف عن الأخرى،و لا يمكنك أن تقول ل المكيف أفضل أم المدفأه،لأن لكل منهما وظيفة و كل منهما يختلف عن الآخر.

فلا يمكن أن تتم مقارنة بين وجود شخص ما في الجسد و بين وجود شخص آخر في فكر الله،لأن هذه المقارنة هي مقارنة باطلة مثلها مثل الأمثلة التي سبق و قلناها.

و يستشهد المسلمون بالحديث الآتي :

محمد حيث قال : ** كنت نبيا و آدم بين الروح و الجـــســـد **

والحديث صحيح وينظر إلي ** السلسة الصحيحة ** للألباني (٤ : ٤٧١) رقم (١٨٥٦) وأخرجه الامام أحمد (٤:٦٦) .والحمد لله رب العالمين ،،،،

هذه المقارنة باطلة من الأصل لأن محمد هنا يقارن بين وجوده في فكر الله و بين زمن خلقة آدم،و لا علاقة بين هاتين المقارنتين على الإطلاق،لأن جميع البشر كانوا في فكر الله قبل أن تتم عملية الخلق،لذا فإن هذه المقارنة لا تجعل من محمد مميزا في أي شيء.

ولا يمكن أن يقارن شخص ما بين وجوده في فكر الله و بين وجود شخص آخر في فكر الله،حيث أن جميع البشر لا يوجد بينهم أسبقية في وجودهم في فكر الله،لأن الله لا يجد عليه شيء،فلو كان فكر الله متغير لأصبح الله ذاته متغير،وكل ما هو متغير فهو قابل للإضمحلال،والله غير قابل لا للتغيير ولا للإضمحلال.

يقول الإيغومانوس ميخائيل مينا :

بما أن الله سبحانه و تعالى موجود في كل مكان، و أنه يملأ الأرض و السماء، و هو كامل و غير متغير، و لا محدود في جوهره، فيستلزم أنه ذو علم غير محدود ولا متغير أيضا، قال الوحي : (رومية١١ :٣٣) "٣٣ يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ!"

غير أن علم الله سبحانه و تعالى ليس اكتسابيا بل ذاتيا طبيعيا، و لم يحصل عليه بالبحث و التفتيش و التتابع، وليس هو معرضا للزيادة و النقصان، لأن كل الأشياء التي حدثت و التي تحدث و التي سوف تحدث هي موضوعة أمام عينيه منذ الأزل، كما يقول الوحي : (أعمال١٥ :١٨)" ١٨ مَعْلُومَةٌ عِنْدَ الرَّبِّ مُنْذُ الأَزَلِ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ."[1]

لنقرأ معا الأعداد التي يدور حولها النقاش:

(يوحنا٨: ٥٦) أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ».

[1] علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية الجزء الأول للقمص ميخائيل مينا صـــ١٦٣

(يوحنا٨ :٥٧) فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ؟»
(يوحنا٨ :٥٨)قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ».

(يوحنا٨: ٥٩) فَرَفَعُوا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. أَمَّا يَسُوعُ فَاخْتَفَى وَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ مُجْتَازاً فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى هَكَذَا.
أبوكم إبراهيم تهلل بأن يري يومي فرأي و فرح :
المقصود هنا من هذا العدد بأن إبراهيم أراد و رغب بشده في أن يعرف ما سيحدث في وقت المسيا،فكان له من الله هذا الطلب
(تكوين١٢ :٣)" [٣] وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ»"
(تكوين١٨ :١٨)" [١٨] وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ؟"
بالمقابلة مع :
(غلاطية٣ :١٦)" [١٦] وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لاَ يَقُولُ:«وَفِي الأَنْسَالِ» كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ:«وَفِي نَسْلِكَ» الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ"
لم يكن الكتاب يقصد أن إبراهيم رأي المسيا في الجسد و لكنه يقصد أن إبراهيم رأي المسيا بعين الإيمان كما يقول القديس العظيم بولس الرسول:
(عبرانيين١١ :١٣)" [١٣] فِي الإِيمَانِ مَاتَ هؤُلاَءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيُّوهَا، وَأَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلاَءُ عَلَى الأَرْضِ"
أي أن كل هؤلاء الأنبياء،و منهم إبراهيم لم يحضروا تحقيق النبوات و لكنهم رأوا هذه النبوات بعين الإيمان.
وعند معرفتهم هذه النبوات فرحوا و من إيمانهم و ثقتهم في كلام الله آمنوا بتحقق هذه النبوات و كأنهم رأوها لذا قال عنهم بولس الرسول : بل من بعيد نظروها.
كما أن إبراهيم رأي في اسحق ما سيحدث للمسيا بأنه سيُقدم كذبيحة للكفارة عن خطايا البشر .
يَرَى يَوْمِي
هذا التعبير لا يحدد أي يوم للمسيا، فإنالتعبير يمكن أن يشير إلى أشياء متعدده ،فهو يشير إلى زمن أو ظهور أو أحداث أو حياه بأكملها كما نرى في :
(لوقا١٧ :٢٦)" [٢٦] وَكَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ نُوحٍ كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضًا فِي أَيَّامِ ابْنِ الإِنْسَانِ""
(متى١١ ك١٢)" [١٢] وَمِنْ أَيَّامِ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ إِلَى الآنَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ يُغْصَبُ، وَالْغَاصِبُونَ يَخْتَطِفُونَهُ."
كما أن يوم الدينونة يُدعى يوم ابن الإنسان.
لذلك فإن كلمة رأي يومي هنا غير محددة،فهي تشير إلى أي شيء من هذه الأشياء،فمجيء المسيا و حياته و موته مذكورة في النبوات كما قلنا، و هذه النبوات هي التي آمن بها إبراهيم ، و كانه رآها بعين الإيمان.
هذا هو شرح العدد ٥٦

بالنسبة للعدد : (يوحنا٨ :٥٧) فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ؟»
عندما قال السيد المسيح لليهود بأن ابراهيم رأي يومه ، كان المسيح يخبرهم عن رؤية ابراهيم للمسيح بعين الإيمان ، و لكن اليهود فهموا كلام المسيح خطأ و اعتقدوا أنه يقصد أن ابراهيم رآه في الجسد و لذلك جاء رد اليهود على قول يسوع المسيح في سخرية و تهكم و قالوا: لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ؟
أي أنهم قالوا له أنت لم تبلغ ٥٠ سنة و مع ذلك تقول بأن ابراهيم رآك ؟؟
هنا واضح فهم اليهود الخاطيء لكلام السيد المسيح، و لكن هنا لنا وقفة...
كان المسيح دائما ما يعلم أفكارهم قبل أن يفصحوا عنها كما هو واضح في الأناجيل المقدسة :
(متى١٢ :٢٥)" [٢٥] فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ،"
(متى٢٢ :١٨)" [١٨] فَعَلِمَ يَسُوعُ خُبْثَهُمْ"
(مرقس١٢ :١٥)" [١٥] فَعَلِمَ رِيَاءَهُمْ،"
(لوقا١١ :٣٧-٣٩)" وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ سَأَلَهُ فَرِّيسِيٌّ أَنْ يَتَغَدَّى عِنْدَهُ، فَدَخَلَ وَاتَّكَأَ. [٣٨] وَأَمَّا الْفَرِّيسِيُّ فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ تَعَجَّبَ أَنَّهُ لَمْ يَغْتَسِلْ أَوَّلاً قَبْلَ الْغَدَاءِ. [٣٩] فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ:«أَنْتُمُ الآنَ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالْقَصْعَةِ، وَأَمَّا بَاطِنُكُمْ فَمَمْلُوءٌ اخْتِطَافًا وَخُبْثًا"
(لوقا٢٠ :٢٣)" [٢٣] فَشَعَرَ بِمَكْرِهِمْ"
واضح من هذه الأعداد أن المسيح دائما ما كان يفهم اليهود بدون أن يتكلموا و كان يعلم ما في قلوبهم و كان يجاهرهم بفكرهم الخاطيء و يرد عليه،فما بالك إذا تكلم اليهود، فهل لا يفهمهم المسيح ؟؟؟
يوضح لنا هذا العدد (يوحنا٨ :٥٧) فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ؟»
بأن المسيح عرف أنهم يقارنون بينه و بين إبراهيم من حيث الوجود الذاتي، أي الزمن الذي وُجد فيه كل منهما.
فأجابهم يسوع على حسب فهمهم،و أعطاهم ما يتكلمون عنه،فهم كانوا يقارنون بينه و بين إبراهيم من حيث الوجود الذاتي،فأجابهم المسيح على استفسارهم التهكمي هذا بأنه موجود قبل أن يوجد إبراهيم.
ليس من الطبيعي أن يسير النقاش بين المسيح و اليهود في خطين متوازيين، و ليس من المعقول أن يسأل شخص و يقول لشخص آخر : كم عمرك ؟ فيجيبه الآخر إن إسمي هو جون.
إذن الإجابة تكون من جنس السؤال، و السؤال هنا عبارة عن مقارنة بين الوجود الذاتي لإبراهيم و بين الوجود الذاتي للمسيح!!
فسيجيب عليهم المسيح من هذا الإتجاه (المقارنة بين الوجود الذاتي) ، و لكنهم كانوا معتقدين أن المسيح هو مجرد شخص بشري مثله مثل إبراهيم، و لكنه

فاجئهم بأن وجوده يسبق وجود إبراهيم،فقبلما يُخلق إبراهيم...المسيح موجود و كائن
كيف يكون المسيح كائن بذاته قبل أن يُخلق إبراهيم ؟ هذا يتم تفسيره بأن المسيح المسيح كائن و موجود بلاهوته قبل أن يوجد إبراهيم.
[هذه هي الطريقة الصحيحة لفهم الحوار الذي دار بين السيد المسيح و اليهود]
نلاحظ أن المسيح هنا لم يقل : قبل أن يكون إبراهيم أنا كُنت، لكنه قال قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن، أي قبلما يُخلق إبراهيم و أنا موجود، و قد ناقشنا في بداية البحث هل يصح أن يقول المسيح لو أنه شخص بشري بأنه موجود في فكر الله قبل أن يوجد إبراهيم في فكر الله أم ماذا !
و في نهاية حوار السيد المسيح مع اليهود فهموا أنه يقصد أن وجوده قبل إبراهيم سببه انه هو الله الموجود منذ الأزل ، و لذلك كان رد فعلهم أنهم (يوحنا٨: ٥٩)
فَرَفَعُوا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. أَمَّا يَسُوعُ فَاخْتَفَى وَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ مُجْتَازاً فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى هكَذَا.

وهذا دليل على أنهم فهموا ما كان يقوله لهم بأنه هو الله و لذلك هو كائن قبل أن يُخلق إبراهيم، فهموا أنه يقصد أنه ليس مجرد إنسان بشري ، بل هو الله و لذلك أرادوا أن يرجموه.
لماذا قال المسيح بأنه موجود قبل أن يُخلق إبراهيم بالذات ؟ أي لماذا إبراهيم و ليس آدم مثلا ؟
ببساطة ،كان النقاش بين المسيح و اليهود من بداية الإصحاح حول إبراهيم كما نرى في :
(يوحنا٨ :٣٣)" ٣٣ أَجَابُوهُ:«إِنَّنَا ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَلَمْ نُسْتَعْبَدْ لأَحَدٍ قَطُّ! كَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: إِنَّكُمْ تَصِيرُونَ أَحْرَارًا؟»"
(يوحنا٨ :٣٧)" ٣٧ أَنَا عَالِمٌ أَنَّكُمْ ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ. لكِنَّكُمْ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي لأَنَّ كَلاَمِي لاَ مَوْضِعَ لَهُ فِيكُمْ."
(يوحنا٨ :٣٩)" ٣٩ أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ:«أَبُونَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ». قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:«لَوْ كُنْتُمْ أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ، لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ!"
(يوحنا٨ :٤٠)" ٤٠ وَلكِنَّكُمُ الآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللهِ. هذَا لَمْ يَعْمَلْهُ إِبْرَاهِيمُ."
(يوحنا٨ :٥٢)" ٥٢ فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ:الآنَ عَلِمْنَا أَنَّ بِكَ شَيْطَانًا. قَدْ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ وَالأَنْبِيَاءُ، وَأَنْتَ تَقُولُ:إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلاَمِي فَلَنْ يَذُوقَ الْمَوْتَ إِلَى الأَبَدِ."
(يوحنا٨ :٥٣)" ٥٣ أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي مَاتَ؟ وَالأَنْبِيَاءُ مَاتُوا. مَنْ تَجْعَلُ نَفْسَكَ؟"
كما أنه عندما تحدث معهم عن رؤية إبراهيم له بحسب النبوات ، قارنوا بينه و بين إبراهيم.
لو كان المسيح قال قبل أن يكون آدم أنا كائن، لن يتغير المعنى بتاتا .

ردا على شهود يهوه الذين يقولون أن الله خلق المسيح كأول المخلوقات و به خلق باقي الكون نقول:
هذا الفكر عاطل لأن المسيح لم يحدد زمانا وُجد فيه لأنه لم يقل قبل أن يكون إبراهيم أنا كُنت بل قال قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن.
كما نجد ان سيدنا يسوع المسيح يقول في سفر الرؤيا عن نفسه :
(رؤيا٢٢ :١٦)" ١٦ «أَنَا يَسُوعُ، أَرْسَلْتُ مَلاَكِي لأَشْهَدَ لَكُمْ بِهذِهِ الأُمُورِ عَنِ الْكَنَائِسِ. أَنَا أَصْلُ وَذُرِّيَّةُ دَاوُدَ. كَوْكَبُ الصُّبْحِ الْمُنِيرُ».
فكيف يكون السيد المسيح هو أصل داود و في نفس الوقت هو ذرية داود ؟؟؟
أصل داود بمعنى انه خالق داود ، و ذرية داود بمعنى أنه عندما تجسد جاء من نسل داود.
وهذا ردا كافيا و موضحا لسرمدية السيد المسيح.

كالعادة ، إن كان لديك أي تعليق أو سؤال بشأن هذا البحث، أو تريد أن ترد عليه أو تقدم نقد لهذا البحث ، يسعدنا أن نتلقى هذا على الإيميل المكتوب في أول صفحة.

شكرا للأخ الذي أرسل لنا المقال الذي يهاجم هذا العدد في أحد المواقع الإسلامية، حتى نرد عليه.